مرجئة الفقهاء مبتدعة

قد ظهرت في عهد السلف طائفتان خالفتاهم في اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل:

فالطائفة الأولى قالت: الإيمان بالقلوب والألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبر، وليست من الإيمان[1]، وهم عرفوا بـ«مرجئة الفقهاء».

والطائفة الثانية قالت: الإيمان معرفة القلوب بالله وحده، وإن لم يكن هناك قول ولا عمل[2]، وهم غلاة المرجئة من الجهمية.

ولم تكن في عصرهم من طوائف المرجئة سوى هاتين الطائفتين، وبعد انقراض القرون المفضلة نشأت طوائف أخرى عدها العلماء من المرجئة.[3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلم يكن حدث في زمنهم من المرجئة من يقول: الإيمان هو مجرد القول بلا تصديق ولا معرفة في القلب، فإن هذا إنما أحدثه ابن كرام وهذا هو الذي انفرد به ابن كرام. وأما سائر ما قاله فأقوال قيلت قبله، ولهذا لم يذكر الأشعري ولا غيره ممن يحكي مقالات الناس عنه؛ قولاً انفرد به إلا هذا. وأما سائر أقواله فيحكونها عن ناس قبله ولا يذكرونه، ولم يكن ابن كرام في زمن أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة؛ فلهذا يحكون إجماع الناس على خلاف هذا القول؛ كما ذكر ذلك أبو عبدالله أحمد بن حنبل وأبو ثور وغيرهما، وكان قول المرجئة قبله: إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب، وقول جهم: إنه تصديق القلب؛ فلما قال ابن كرام: إنه مجرد قول اللسان؛ صارت أقوال المرجئة ثلاثة».[4]

---

(١) انظر: الإيمان لأبي عبيد (٩-١٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣١).

(٣) انظر: كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٥٥ - ١٥٦)، وشرح حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ له (٣٧٢ - ٣٨٢)، وفتح الباري لابن رجب (١/ ٥ - ٦)، ومعارج القبول (٢/ ٦٠١ - ٦٠٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٨٥).

وما ورد عن كثير من التابعين وتلامذتهم في ذم الإرجاء وأهله والتحذير من بدعتهم إنما المقصود به المرجئة الفقهاء؛ فإن جهماً لم يكن ظهر بعد، وحتى بعد ظهوره كان بخرسان، ولم يَعلم عن عقيدته بعضُ من ذم الإرجاء من علماء العراق وغيره الذين ما كانوا يعرفون إلا إرجاء فقهاء الكوفة ومن اتبعهم، حتى أن بعض علماء المغرب -كابن عبد البر- لم يذكر إرجاء الجهمية بالمرة.(١)

ومما يدل على أن المراد بالمرجئة في آثار السلف مرجئة الفقهاء: الآثار التي فيها تفريقهم بين قول المرجئة وقول الجهمية، فيسمون الجهمية باسمها الخاص، فيكون المراد بالمرجئة مرجئة الفقهاء؛ إذ لم توجد في ذاك الزمن فرقة أخرى يطلق عليها هذا الاسم، كما تقدم تقريره.

ومن تلك الآثار:

قال الإمام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهل الإرجاء يقولون: الإيمان قول بلا عمل، وتقول الجهمية: الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل، ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل».(٢)

وقال الإمام وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانت المرجئة تقول: الإيمان قول، فجاءت الجهمية فقالت: الإيمان معرفة، وهذا عندنا كفر».(٣)

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهل السنة يقولون: الإيمان قول وعمل، والمرجئة: الإيمان قول، والجهمية يقولون: الإيمان المعرفة».(٤)

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد قالت المرجئة: الإقرار بما جاء من عند الله عز وجل يجزئ من العمل،

---

(١) انظر: تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، ضمن كتاب الردود (٢٠١).

(٢) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار (مسند ابن عباس ٢/٦٦٠/٩٧٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/٣٤٧/٧٤٢).

(٣) أخرجه حرب الكرماني كما في مسائل الإمام أحمد وإسحاق (٣٧٣).

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/٦٣٩-٦٤٠/٢٥٩، و٢/٦٨٤/٣١٩)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥/١٠٧١-١٠٧٢/١٨٣٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (الإيمان ٢/٨٠٣-٨٠٤/١٠٩١)، والعدني في الإيمان (٩٦/٢٩).

وقالت الجهمية: المعرفة بالقلب بما جاء من عند الله يجزئ من القول والعمل، وهذا كفر».[1]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس بين كلام الجهمية والمرجئة كبير فرق؛ قالت الجهمية: الإيمان المعرفة بالقلب، وقالت المرجئة: الإقرار باللسان».[2]

وقال: «أحدثوا هؤلاء المرجئة هؤلاء الجهمية -والجهمية كفار-، والمريسي جهمي، وعلمتم كيف كفروا، قالوا: يكفيك المعرفة، وهذا كفر، والمرجئة يقولون: الإيمان قول بلا فعل، وهذا بدعة».[3]

وقال حمدان بن علي الوراق: «سألت أحمد -وذكر عنده المرجئة-، فقلت له: إنهم يقولون: إذا عرف الرجل ربه بقلبه فهو مؤمن، فقال: المرجئة لا تقول هذا، بل الجهمية تقول بهذا، المرجئة تقول: حتى يتكلم بلسانه وتعمل جوارحه، والجهمية تقول: إذا عرف ربه بقلبه وإن لم تعمل جوارحه، وهذا كفر إبليس، قد عرف ربه، فقال: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾ [الحِجر:٤٠]. قلت: فالمرجئة، لم كانوا يجتهدون وهذا قولهم؟ قال: البلاء».[4]

فدلت هذه الآثار على أن المراد بالمرجئة في اصطلاح السلف «مرجئة الفقهاء»، قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المرجئة هم قوم موصوفون بإرجاء أمر مختلف فيما ذلك الأمر، فأما إرجاؤه فتأخيره، وهو من قول العرب: أرجأ فلان هذا الأمر، فهو يرجئه إرجاء، وهو مرجئه -بهمز-، وأرجاه فلان يرجيه إرجاء -بغير همز-»، إلى أن قال: «والصواب من القول في المعنى الذي من أجله سميت المرجئة مرجئة أن يقال: إن الإرجاء معناه ما بيّنا قبل من تأخير الشيء، فمؤخِّر أمر علي وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا إلى ربهما، وتارك ولايتهما والبراءة منهما مرجئاً أمرهما فهو مرجئ، ومؤخر العمل والطاعة عن الإيمان مرجئهما عنه فهو مرجئ، غير أن الأغلب من استعمال أهل المعرفة بمذاهب

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٩٠٣/١٢٦٤).

(٢) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار (مسند ابن عباس ٢/٦٦٠/٩٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢/٣٠/٤١).

(٤) أخرجه الخلال في السنة (٣/٥٧٠-٥٧١/٩٨٠).

المتخلفين في الديانات في دهرنا هذا الاسم فيمن كان من قوله: الإيمان قول بلا عمل، وفيمن كان من مذهبه أن الشرائع ليست من الإيمان، وأن الإيمان إنما هو التصديق بالقول دون العمل المصدِّق [بوجوده][1]»[2]. والقول الذي وصفه الإمام الطبري هو قول مرجئة الفقهاء، فيكون كلامه نصاً على أن الأغلب في استعمال اسم «المرجئة» إطلاقه على مرجئة الفقهاء.

كما دلت الآثار السابقة على أنهم فرقوا بين قول الجهمية وبين قول مرجئة الفقهاء في الحكم؛ فحكموا على قول الجهمية بأنه كفر، وعلى مرجئة الفقهاء بأنه بدعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر مذهب مرجئة الفقهاء ومخالفتهم للسلف: «إن السلف والأئمة اشتد إنكارهم على هؤلاء وتبديعهم، وتغليظ القول فيهم، ولم أعلم أحداً منهم نطق بتكفيرهم، بل هم متفقون على أنهم لا يكفرون في ذلك...، وأما المرجئة الغلاة فإنهم الجهمية الذين زعموا أن الإيمان هو مجرد معرفة القلب كما تقدم، وقد كفر غير واحد من أئمة السلف من قال ذلك؛ لأنه تكذيب لنصوص الكتاب والسنة التي دلت على أن فرعون وإبليس وأبا طالب واليهود وأمثالهم عرفوا بقلوبهم وجحدوا بألسنتهم فكانوا كفاراً».[3]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن حكى أصل الجهمية في الإيمان: «وهذا أصل فاسد في الشرع والعقل حتى إن الأئمة كوكيع بن الجراح، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد وغيرهم كفروا من قال في الإيمان بهذا القول، بخلاف المرجئة من الفقهاء الذين يقولون: هو تصديق القلب واللسان؛ فإن هؤلاء لم يكفرهم أحد من الأئمة، وإنما بدعوهم».[4]

وقال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر رد أبي حنيفة لكثير من أخبار الآحاد العدول: «وكان مع ذلك أيضاً يقول: الطاعات من الصلاة وغيرها لا تسمى إيماناً، وكل من قال من أهل

---

(١) في المطبوع (بوجوبه)، ولعل الصحيح ما أثبته ليستقيم المعنى.

(٢) تهذيب الآثار (مسند ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ٢/٦٥٨-٦٦١). وانظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٧٠).

(٣) شرح حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (٣٧٣-٣٧٨).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/٧٤٨).

السنة: «الإيمان قول وعمل» ينكرون قوله، ويبدعونه بذلك».[1]

وإذا تقرر هذا؛ فما ورد من آثار السلف في ذم المرجئة وتبديعهم فالمراد بها «مرجئة الفقهاء» دون غلاة المرجئة من الجهمية، وهي كثيرة مشهورة في كتب الاعتقاد المسندة، ومنها:

قال الأعمش: ذكر عند إبراهيم -يعني النخعي- المرجئة، فقال: «والله إنهم أبغض إلي من أهل الكتاب».[2]

وقال النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لفتنة المرجئة على هذه الأمة أخوف عندي من فتنة الأزارقة».[3]

وقال النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تركت المرجئة الديت أرق من ثوب سابري».[4]

وقال الإمام سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المرجئة يهود القبلة».[5]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مثل المرجئة مثل الصابئين».[6]

---

(١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص ١٤٩).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٦/ ٢٧٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٢٣).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣١٣/ ٦١٨، و١/ ٣٣٨/ ٧٠٩)، والخلال في السنة (٤/ ١٣٨/ ١٣٦١)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥/ ١٠٦٠-١٠٦١/ ١٨٠٦).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣١٣/ ٦١٧)، والخلال في السنة (٣/ ٥٦٢-٥٦٣/ ٩٥١، و٤/ ١٣٧/ ١٣٦٠)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥/ ١٠٦١/ ١٨٠٧)، وحرب الكرماني كما في مسائل الإمام أحمد (٣٧٨).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٤١/ ٧٢٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (الإيمان ٢/ ٨٨٦/ ١٢٢٧)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥/ ١٠٦١/ ١٨٠٩).

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣١٢/ ٦١٦، و١/ ٣٢٣/ ٦٦٢، و١/ ٣٣٨/ ٧٠٨)، والخلال في السنة (٤/ ٩٩/ ١٢٥٨، و٤/ ١٣٥/ ١٣٥٥)، والآجري في الشريعة (٢/ ٦٨٠-٦٨١/ ٣١١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨٨٧/ ١٢٢٨)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥/ ١٠٦٣/ ١٨١٣).

وقال الإمام شريك القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وذكر المرجئة-: «هم أخبث قوم، حسبك بالرافضة خبثاً، ولكن المرجئة يكذبون على الله».[1]

ولا يمكن أن يقول هؤلاء الأئمة هذه الكلمات الشديدة في قوم من أهل السنة قد أخطئوا، بل قال الإمام منصور بن المعتمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أقول كما قالت المرجئة الضالة المبتدعة»[2]، وهو صريح في تبديعهم.

بل قد جعل الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ المرجئة من أصول الفرق الهالكة، وهو قطعاً لا يريد جهمية المرجئة؛ فإن الجهمية كفار خارجين عن الثنتين وسبعين فرقة الضالة كما صرح بذلك، حيث سأله حفص بن حميد: على كم افترقت هذه الأمة؟، فقال: «لأصل أربع فرق: هم الشيعة، والحرورية، والقدرية، والمرجئة»، -ثم عدد فرقها-. ثم قال له حفص بن حميد: «يا أبا عبد الرحمن، لم أسمعك تذكر الجهمية». قال: «إنما سألتني عن فرق المسلمين».[3]

وذكر الأئمة من أهل السنة والجماعة الذين ألفوا في الاعتقاد المرجئة في أصناف أهل البدع والأهواء الضلال؛

فقد عقد أبو عبيد في كتاب الإيمان باباً بعنوان: ذكر ما عابت به العلماء من جعل الإيمان قولاً بلا عمل، وما نهوا عنه من مجالسهم، أورد فيه بعض الآثار عن السلف في ذم المرجئة والإرجاء والتحذير من مجالستهم، ثم قال: «وعلى مثل القول كان سفيان، والأوزاعي، ومالك بن أنس، ومن

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٦١٤/٣١٢/١)، والخلال في السنة (١١٢٦/٤١/٤)، والآجري في الشريعة (٣١٦/٦٨٣/٢)، وابن بطة في الإبانة (الإيمان ١٢٢٥/٨٨٦/٢)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٨٢٤/١٠٦٦/٥).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٦١٣/٣١٢/١، و٧٠٧/٣٣٨/١)، والخلال في السنة (١١٢٥/٤١/٤)، والآجري في الشريعة (٣١٥/٦٨٢/٢)، وابن بطة في الإبانة (الإيمان ١٢٢٤/٨٨٦/٢)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٨١٨/١٠٦٤/٥).

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (الإيمان ٣٧٩/١-٢٧٨/٣٨٠).

بعدهم من أرباب العلم وأهل السنة الذين كانوا مصابيح الأرض وأئمة العلم في دهرهم، من أهل العراق والحجاز والشام وغيرها، زارّين على أهل البدع كلها، ويرون الإيمان قولاً وعملاً».[1]

وقال الإمام حرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولأصحاب البدع نبز وألقاب وأسماء، لا تشبه أسماء الصالحين ولا الأئمة ، ولا العلماء من أمة محمد ﷺ، فمن أسمائهم:... المرجئة: وهم الذين يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل»[2].

وقال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في باب ذكر هجرة أهل البدع والأهواء: «ينبغي لكل من تمسك بما رسمناه في كتابنا هذا وهو كتاب الشريعة أن يهجر جميع أهل الأهواء من الخوارج، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، وكل من ينسب إلى المعتزلة، وجميع الروافض، وجميع النواصب».[3]

وقال الإمام ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمرجئة تزعم أن الصلاة والزكاة ليستا من الإيمان، فقد أكذبهم الله عز وجل، وأبان خلافهم. واعلموا رحمكم الله أن الله عز جل لم يثن على المؤمنين، ولم يصف ما أعد لهم من النعيم المقيم، والنجاة من العذاب الأليم، ولم يخبرهم برضاه عنهم إلا بالعمل الصالح، والسعي الرابح، وقرن القول بالعمل، والنية بالإخلاص، حتى صار اسم الإيمان مشتملا على المعاني الثلاثة لا ينفصل بعضها من بعض، ولا ينفع بعضها دون بعض، حتى صار الإيمان قولا باللسان ، وعملا بالجوارح ، ومعرفة بالقلب خلافا لقول المرجئة الضالة الذين زاغت قلوبهم، وتلاعبت الشياطين بعقولهم ».[4]

---

(١) الإيمان (٣٥).

(٢) إجماع السلف في الاعتقاد (ص ٧٧).

(٣) الشريعة (٥/٢٥٤٠).

(٤) الإبانة الكبرى (الإيمان ٢/٧٧٨).